واخذ عائلتهُ منها وعبر بها الى الضفة الغربيَّة في مقدمة الفارّين. فلما وصل مردخ بك اليها اخذها بلا مقاومة لان الرجال الذين بقوا فيها كانوا قلالاً واستحوذ على ما فيها من المايرة والمؤن

وكتب الينا في الرابع عشر من الشهر يقول "ان الذين دفنوا حتى اليوم من قتلى الدراويش بلغوا الفاً ومئة قتيل عدا الذين غرقوا في النيل والذين جثثهم لا تزال مطروحة في الجبال والاخوار وجرحاهم نحو مئة واسراهم اكثر من مئتين من الرجال عدا النساء والاولاد". وقتل من الجنود المصريَّة اثنان وعشرون وجرح ستة وثمانون

وقد كان عدد المقاتلة من الدراويش ثلثة آلاف مقاتل منهم الفان واكثر في فركة والباقون في سواردة ومعركة شرقاً وغرباً. وغني عن البيان ان القواد العظام هم الذين يحرزون اعظم النظر باقل خسارة من الرجال ولو راجعنا تفاصيل المعارك التي احرز فيها القواد العظام النصر على الاعداء وقدرنا عدد الذين خسروهم فيها من الرجال لعددنا معركة فركة من جملتها وحكمنا ان السردار وسائر قواد جيشهِ فعلوا افعال القواد العظام وفازوا الفوز المبين على نخبة رجال السودان وامرائهم وابطالهم بخسارة لا تكاد تذكر. وقد قاتل الدراويش في هذهِ الموقعة مستقتلين وهان عليهم الموت حتى كانوا يثبتون امام الجنود المصرية وهم يعلمون انهم هالكون لا محالة ويقي نحو ثمانين منهم يقاتلون من منزل واحد وابوا التسليم حتى قتلوا عن آخرهم

وعسى ان تكون هذهِ الواقعة خاتمة الوقائع فيجسر اهالي السودان على المجاهرة بمخالفة الخليفة ومناوأتهِ والعود الى حمى الحكومة المصرية فانهُ اذا رأى ذلك منهم انحلَّت عزائمهُ وبادر الى الاتفاق مع الحكومة المصرية على ما تحجب بهِ الدماء وتضمن راحة العباد

تتويج قياصرة الروس

كل نظام ولَّدتهُ الايام ونحَّصتهُ احوال الزمان فهو لازم في محلهِ واجب على الذين ارتبطوا بهِ لا يحسن نزعهُ ولا فكهُ دفعةً واحدةً. ولكن ذلك لا يكفل لهُ الدوام بل لا بد من ان يخضع لتقلبات الايام مثل كل متغير. ومن هذا القبيل نظام الدول وقيام الملوك فانهُ عريق في المجتمع الانساني ابتدأ منذ الوف من السنين لا بقوَّة قاهرة فرضتهُ على الناس فرضاً بل نشأ تبعاً لغريزة فطريَّة ونماموًّا طبيعيًّا. وقد انحلَّت عراهُ الآن من بعض البلدان ولكنهُ لم يزل راسخاً في غيرها. ولا يظهر ان الممالك التي طرحت نير الملوك عن عواتقها اصلح حالاً وارفع شأناً من جاراتها الجارية على خطة السلف. فان كانت المساواة بين الناس امراً

مقدوراً فيكون زمانها بعيداً عن زماننا وعصرها من العصور التالية ٱلَّتي لا نراها نحن ولا ابناؤنا وسيسبقها عصر ولاية الاكفاء عصر يتولى فيهِ سياسة الناس اقدرهم على توليها ملوكاً كانوا او سوقةً . الاَّ ان هٰذا العصر بعيد ايضاً ودون البلوغ اليهِ خرط القتاد

ويظهر لنا من النظر في احوال البشر وسياساتهم بنوع عام واحوال بلاد الروس بنوع خاص ان ما يجري فيها من الاحتفال العظيم بتتويج قياصرتها وما يبدو لعين امرائها المختلفي الشعوب والمذاهب من ابهة الملك وعظمتهِ امر لازم لازب لتعزيز سطوة الدولة فلا تحدثهم نفوسهم بعد ذلك بالخروج عليها

والاحتفال بتتويج القياصرة في بلاد الروس سنّة قديمة واول مَن تُوج من عائلة رومانوف الحاكمة الآن في روسيا القيصر ميخائيل وذلك في ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٦١٣ وجلس على عرش اجداده الى قياصرة الروس الشاه عباس الشهير. ولما وضع رئيس الاساقفة التاج على رأسهِ والصولجان في يدهِ قال لهُ ايها القيصر الذي توجّهُ الله ميخائيل الدوق العظيم ابن فيودور المتسلط عَلى كل بلاد الروس خذ هٰذا الصولجان الذي اعطاكهُ الله لتتسلط بهِ على بلاد الروس العظيمة وتسوسها. ثم وضع في عنقهِ قلادة من الذهب ومسحهُ بالزيت المقدس وجرى القياصرة بعدهُ على خطة واحدة في تتويجهم الى ايام بطرس الاكبر فتُوج مع اخيهِ ايڤان في وقت واحد ثم أُبدل لقب القيصر بلقب امبراطور حينما توَّج زوجتهُ كاترينا سنة ١٧٢٤

وكان القياصرة يتوجون بتاج قديم قيل انهُ أُرسل اليهم من القسطنطينيَّة سنة ٩٨٨ للمسيح لكن بطرس الاكبر ابدلهُ بتاج آخر لما توج زوجتهُ ثم صُنع تاج آخر مثلهُ للملكة كاترينا الثانية وتوج بهِ كل القياصرة الذي جاؤوا بعدها وهو التاج الذي تُوج بهِ القيصر الآن وكان ثقلهُ خمس ليبرات وكان فيهِ ٤٩٣٦ ماسةً ثقلها ٢٩٩٢ قيراطاً و يقدر ثمنهُ بنحو مليوني ريال روسي (ثمانية ملايين فرنك)

وكان رئيس الاساقفة يضع التاج على رأس القيصر لكن الامبراطورة اليصابات وضعت التاج يدها على رأسها فجرى قياصرة الروس بعدها على ذلك . وكان القياصرة يتوَّجون في مدينة كيف لما كانت اعظم مدن روسيا ثم ضعف شأنها بعد اواسط القرن الثاني عشر وتسلط التتار والمغول على روسيا وادّى امراؤها لهم الجزية وجعلوا موسكو عاصمة لمملكتهم لبعدها عن بلاد التتار فصاروا يتوجون فيها. واول من لقب منهم باسم القيصر ايڤان الرابع سنة ١٥٤٧

وقد تُوج القيصر نيقولا الثاني في السادس والعشرين من شهر ماي (ايار) الماضي باحتفال فاق كل احتفال سبقهُ بلغت نفقاتهُ خمسة ملايين من الجنيهات . وقد وصفنا

هٰذَا الاحتفال وصفًا مسهبًا في المقطم ويظهر منهُ ان الاحتفال دهني كما هو مدني فقد جاء في الاعلان الذي عين فيهِ يوم التتويج ما ترجمتهُ

" ان ملكنا العظيم الاكرام والاقتدار الرفيع الشان القيصر نقولا بن الاسكندر جلس عَلَى عرش الامبراطوريَّة الروسيَّة ومملكة بولندا وغراندوقيَّة فنلاند وشاء تمثُّلاً باسلافهِ المجيدين ان تقام حفلة التتويج المقدس في ١٤ ماي (حسابًا شرقيًّا) بمساعدة الله القادر على كل شيء وامر ان القيصرة الكسندرة فيودورفنا تشترك معهُ في هذه الحفلة المقدسة فليعلم ذلك كل الرعايا الامناء الخاضعين لجلالتهِ وليرفعوا صلواتهم الى الله القادر عَلَى كل شيء لكي يبارك ملك جلالتهِ وينشر السلام بين الجميع تمجيدًا لاسمهِ المقدس وتأييدًا لخير البلاد ونجاحها "

وكان التتويج في اشهر كنائس موسكو وسبقتهُ وتلتهُ شعائر دينيَّة كثيرة وفي جملتها ان رئيس اساقفة بطرسبرج طلب من القيصر قبل تتويجهِ ان يتلو قانون الكنيسة الارثوذكسيَّة فتلاهُ عَلَى مسمع من الحضور فباركهُ رئيس الاساقفة حينئذٍ واضعًا يديهِ على رأسهِ على شكل صليب ثم ناولهُ التاج القيصري فتناولهُ ووضعهُ على رأسهِ وجلس عَلَى العرش ثم توج القيصرة بيدهِ . وتليت الصلوات بعد ذلك فركع القيصر وتلا صلاة خصوصيَّة بصوت عالٍ ثم نزل عن عرشهِ وسار مع زوجتهِ إِلَى المذبح ومُسحا بالزيت وتناولا القربان المقدس ثم زارا بقية الكنائس واتمَّا كثيرًا من الفروض الدينيَّة . ونشر المشور التالي حينئذٍ وهو

" ليعلم كل رعايانا الامناء اننا بعد ان اتممنا تتويجنا المقدس اليوم بنعمة الله القدير ومُسحنا المسحة المقدسة ركعنا امام عرش ملك الملوك وسألنا عزتهُ بالاتضاع ان يتنازل ويبارك عرشنا لخير بلادنا المحبوبة ويقوينا لكي نبرَّ بقسمنا المقدس ويقدرنا عَلَى اتمام الاعمال الَّتي سلمها لنا اسلافنا العظام لتعزيز الامة الروسيَّة وتقوية الايمان الديني والفضائل الصالحة "

ولم تنتهِ حفلة التتويج عَلَى صفاء تام وذلك انهُ صُنعت رزم صغيرة من الطعام والحلوى لتفرَّق عَلَى الجمع المزدحم في سهل خودنسكي خارج موسكو وكان عددهم نحو ٨٠٠ الف نفس من فقراء الروس ورمى الموزعون الرزم بينهم فتهافتوا عليها تهافتًا وداس بعضهم بعضًا فقتل منهم الفان وسبع مئة نفس شرَّ قتلة فتحوَّلت الافراح اتراحًا في بيوت كثيرة . وبلغ القيصر ذلك فامر ان تعطى عائلة كل قتيل اربعة آلاف فرنك . الَّا ان ذلك لم يُزِل ما اثرتهُ حفلة التتويج في النفوس من استعظام قدر قياصرة الروس واعتمادهم عَلَى السلطة الدينيَّة مع السلطة السياسيَّة فعسى ان يكون من هٰذَا الاحتفال اعظم نفع لتلك البلاد ولسائر البلدان